"أوكاجيان": في طرابلس، أربعة أجيال رائدة في التأثيث والديكور

متنقلًا بين منشرة "الدروبي" في شارع لطيفة، ثمّ بيروت حيث رافق والده غارابيل الى الورش، وصولًا الى تأسيس "أوكاجيان"، التي يديرها اليوم في الميناء الجيل الرابع من العائلة، ندر هاكوب أوكاجيان ستة عقود من عمره للتحليق بحرفة صناعة الخشب في طرابلس نحو مستويات تستحق أن تسمّى ب"قصّة نجاح". ولهذا النجاح لا قمّة، إذ لا يقنع "أوكاجيان" بهدنة مع الوقت، ولا يستريح يومًا من تخطّي ذاته.

تجتمع في خطاه المرونة بصرامة هادئة. يدخل المكتب، حيث رُصفت بأناقة على رفوف شارفت عليها اضاءة مدروسة، مجسمات من الخشب ومواد أدخلت حديثًا في صناعة الديكور والاثاث. أمّا الرف الأول، فيعرض عدّة نجارة صنعها يدويًا الأب الذي بدأ مشواره في العشرينيات من القرن الماضي، بدخول الفرنسيين والانكليز وانتعاش صناعة المفروشات. كانت رحلة غارابيل الأب استكمالًا لمشوار الجدّ، الذي عمل تاجرًا للأخشاب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

هاكوب أوكاجيان... من طرابلس، وعَودٌ على بدء

يستعيد "المعلم" هاكوب، كما لا يزال متداولًا في المصلحة التي بناها، قصة نجاح أبيه "تعهد والدي"تكنة" عرمان. اسم "تكنة" يطلق باللهجة المحلية على كل مبنى هرميّ من الخشب يعلو سقفه القرميد". ويشفع المعلّم بداياته في الصنعة بانتعاش صناعة المفروشات في طرابلس، حين دخلت مدارس مهنية أسستها بعث فرنسية يذكر منها مدرسة "Père Blanc" في القبة. كانت تلك المدرسة الأم التي استقت المدارس الفنية التي تلتها منهجها وطرائقها في النجارة، الحدادة، الميكانيك، والكهرباء. في تلك المرحلة الذهبية، جُعلت المهارات الفطرية مقرونة بالعلم، الأمر

الّذي برأي أوكاجيان يحتاج لإعادة إحياء لتنتقل هذه الصنعة في طرابلس لأجيال شابة تكتسب هذه الحرفة عن علم وانفتاح على التطور. يقول أنّه لكلّ حرفة جانب علمي لا مناص منه للحفاظ عليها "الاتكال على الاجتهاد الشخصي وحده يُضعف هذا القطاع"، يضيف. فقد تغذّت ممارسته بنهم ثقافي وانكباب على قراءة كتب متعلقة بالحرفة، بالرغم من مغادرته الدراسة منذ الثالث ابتدائي، ليستقل بعمله في سن السابعة عشر "كان امضائي لتعهد احد المشاريع يتطلب امضاء آخر للتثبت من أهليته"، يضيف مبتسمًا. خلال اندلاع الحرب في السبعينيات كان قد تمكن من "تمشيط" ما يناهز 8000 كلم مربع من مساحة لبنان في ورش وجولات متلاحقة "باستثناء الجبل بسبب الوضع السياسي حينذاك" موضحًا أنّه يتعهد حاليًا بيوت زبائن من الجبل، بعدما وصلت أعماله لكل المناطق.

"الأسطورة الشخصية" هذه، حسب تعبير شارل مورون، يربطها هاكوب أوكاجيان بالأسطورة الجماعية للأرمن. فكما أمكنته المواظبة من صناعة اسم له في عالم الديكور والمفروشات، يقول أن الشعب الأرمني، أينما حل، اكتسب بسبب اصراره على الحياة، سمعة الحرفية والابداع في الصناعات اليدوية "نجاحنا تداعى من الرواسب التاريخية والتراكمات. الأرمن الّذين نجوا من المجازر حملوا للشرق الأدنى ولأوروبا صناعات لم تكن شعوب المنطقة قد تمرست بها، كالخياطة والتصوير وصناعة الذهب. هذا الشعب ابن حضارة. نقل خبرته للمجتمعات التي انصهر فيها".

تأثيث البيوت.. تأسيس الأولاد.. مأسسة "أوكاجيان"

جنبًا الى جنب، عمد هاكوب، الى صقل الخشب كما الى صقل هذه الصناعة في شخصية أبنائه، بإصرار وعن فطنة إستباقية. ولم تكن المعادلة بالبداهة التي يفترضها "تساهل" ربّ العمل مع أولاده. فكانت القواعد تقضي بأن يُقتطع شهرًا ونصف الشّهر من عطلة الصيف في المنتجع،

ليرافق الأولاد أباهم يوميًا الى عمله. يتولون أولًا مهام مساندة في الورشة، من تكنيس الأرض الى مساعدة العمال. وكان محظرًا على هؤلاء معاملة "أبناء المعلّم" بأسلوب متراخٍ أو إيلائهم امتيازات. فمنذ أن يخطو الأولاد عتبة الورشة، ينسون كلمة "بابا" وينادونه ب"المعلم أغوب"، وكان التخلف عن يوم عمل يقضي بأن يحرم الولد من أجرة يومين، البالغة ألفي 2000 ليرة لبنانية لليوم.

هذا النقش المبكر في شخصيات الأبناء، صنع لديهم ارتدادات مصيرية. فالابن الأكبر ليفون توجّه لهندسة الديكور، وصار مسؤولًا عن المكتب الهندسي للشركة. كان الوالد حازمًا في منعه عن استخدام الكومبيوتر، ليصبح ليفون قادرًا على ترجمة أفكار أي زبون في Sketch سريع بالورقة والقلم. الابن الاوسط، آرام، تحوّل من دراسة الفيزياء لاستلام الانتاج الصناعي في أوكاجيان. أمّا فاهي، الابن الاصغر، تخلى عن عمله الناجح في الالكتروميكانك والروبوتكس في فرنسا بعد تخرجه من جامعة بلفور-مونبليار UTBM، ليتولى الادارة والتسويق وتطوير الشركة.

"الآباء يتخلون قسرًا، كأكثرية ساحقة، لكنني تخليت طوعًا" يضيف الأب هاكوب، مشيرًا أنه يترك لأبنائه حرية إدارة الأعمال. يسدي نصحه وإرشاده حين يلجأون اليه، لأنه يفضل أن يخوضوا تجاربهم بأنفسهم، عملًا بمقولة يؤمن بها "الكف اللي ما بيعلّم ما بيعلّم". أمام هذا التناغم العملي والأخلاقي، يسقط مع "أوكاجيان" نموذج ال one man show، أو سيطرة الفرد الواحد، لصالح العمل الجماعي واستمراريته.

فاهي يصغي للأب وللمستهلك

قبل الانتقال للحديث معه، ننتبه أنّ فاهي أوكاجيان سجّل على هاتفه الخلوي كلام أبيه. يقابل هذا الاستدراك بابتسامة ودودة، لينتقل بحرفيّة عالية الى عرض نماذج أعمال من الحديد، الالمونيوم الحجر، الابوكسي، والخشب. وتحدث عن تفرد أوكاجيان في أكسدة النحاس من خلال خلطة خاصة لا يعرف سرها سوى الاخوة الثلاث، يلوّنون النحاس بدون الحاجة الى رشّه.

خلال عرضه، يؤكّد أوكاجيان على حقيقة عامة يعايشها عالم المفروشات "لم تعد هذه الصناعة مرتبطة بالخشب وحده. بل ثمّة موادٍ أخرى دخلت في تصاميم الموضة الجديدة. هذه النقطة يحتاج العاملون في هذا القطاع لرؤيتها والاعتراف بها إن أرادوا فعلًا أن تزدهر صناعتهم". يشرح فاهي أن الشركة توسعت الى مصنع، ومحاسبة وادارة، ومكتب الهندسة حيث يصبّ تركيزهم الأولي، إذ يقع على عاتقه حسن الإصغاء إلى رغبات الزبائن و مساعدتهم على تجسيدها عبر تقديم العديد من الموديلات والمجسّمات خلال الإجتماع، بهدف إكتشاف شخصية الزبون مما يسهل تجسيد ذوقه "نستلم المشروع على الأساس ونسلّمه بمفتاحه"، يقول فاهي مضيئًا على شمولية خدمات "أوكاجيان" من أوسع عمليات الديكور الى أصغر تفاصيل الاثاث، فيتحمّلون مسؤولية المنتج بأكمله موفرين تباين وجهات النظر أو تضارب المصالح بين المتعهدين.

مفاتيح الادارة والتجارب والتطوير

ويكشف فاهي أنّ تألّق مؤسستهم يعتمد على عناصر عدّة أوّلها حسن الإدارة "الشركة كانت لتغدو دكانا بدون حوكمة داخلية ناجحة. هنا نفعّل قيادة الموظّفين لا إرضاخهم ممّا يرفع الإنتاجيّة". كما تحرص الشركة على متابعة الصيحات العالمية ومواكبة أذواق الجيل الجديد، المتأثر بالموضة العالمية بشكل كبير، ويفرض علينا أن نحاكي ذوقه. في هذا المجال، يستند هافي أوكاجيان على معطيات راهنة "لقد أشارت دراسة حديثة قامت بها Expertise France بالتعاون مع شركة Markets أنّ 13 بالمئة فقط من اللبنانيين يرغبون بأسلوب الكلاسيك. على الحرفيين إذًا تجاوز المساحة الآمنة التي رهنوا حرفتهم لها فليس من مقدور قطاع المفروشات في طرابلس الاعتماد على سجل الأمجاد الماضية". ويورد أن أوكاجيان يتعاون مع عدة مصممين عالميين كاللبناني جورج محاسب، والايطالي جوليو فينيتشا، واستطاعت الشركة أن تخطو بثقة نحو الاسواق لبنان والخليج.

ويدلف السيد أوكاجيان الى صلب تخصصه، مبديًا حرص الشركة على صنع الماركة الخاصة بها، "نواصل عمليّات البحوث والتطوير من خلال استحداث التوليفات الجديدة. الأمر مكلف وشاق لكنّه أساس نجاحنا، لأننا ننكب على فرادة المنتج. نحرص على الحفاظ على الصناعة قبل السعي الى التجارة بها". وكذلك تسعى الشركة لتطوير خطتها التسويقية، لتصنع Brand خاص بها، مقيمة دراسة معمقة لسيكولوجية السوق، بعدما طوّرت موقع الكتروني مميز وصفحات على مواصل التواصل الاجتماعي تعرض صورًا بدون رتوشات.

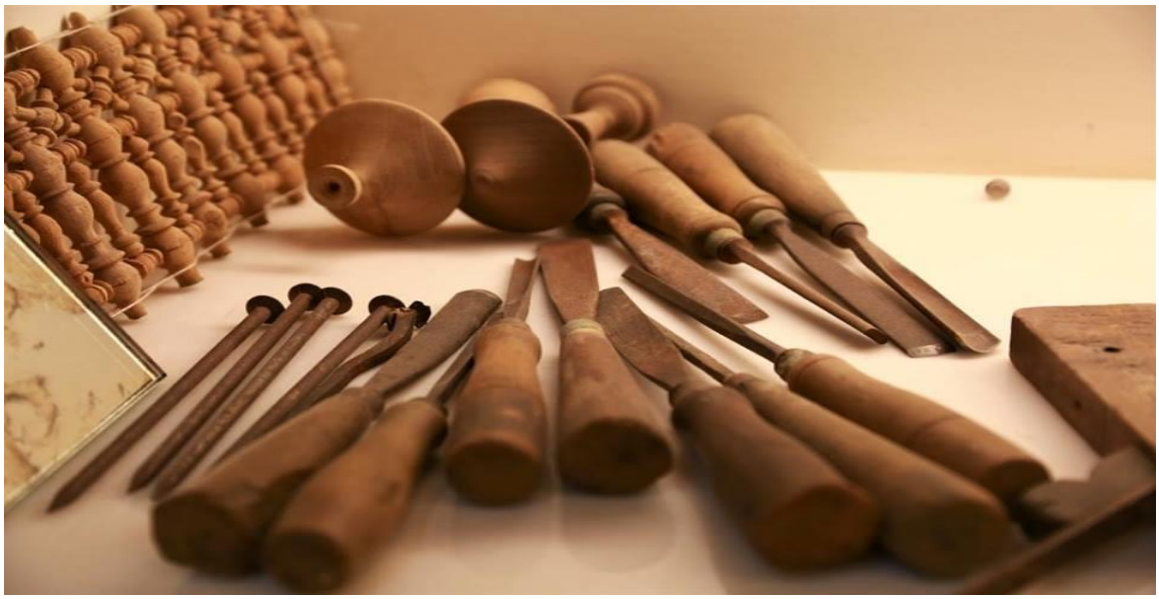

ولعلّ "أوكاجيان" تلتزم حيزًا من المسؤولية الاجتماعية حيال طرابلس، فلا تحتكر الشركة معرفتها لنفسها. على العكس، ينشرون تجربتهم ويشعّون شغفهم لدى الشباب، مقيمين الندوات في جامعات كالعزم و ULF لتأهيل الشبّان ومساعدتهم على الاندماج بسوق العمل.

أوكاجيان.. وجامع الأرمني

في عرض سريع لأهم المنجزات، يذكر فاهي أنهم تعهدوا بيت الأمم المتحدة في بيروت. وشاركوا في أهم معرض للتصاميم في أوروبا Maison et Objets الفرنسي، بموبيليا مصنوعة من خشب الجوز الطبيعي المطعّم بالصدف الصناعي أنجزت بغضون 10 أيّام، الى جانب معارض في الجزائر مع مصممين للفيات، وفوروم في سلوفينيا وغيرها.

ويذكر فاهي أنهم التزموا تلبيس الحجر والخشب في "مسجد الشكر"، مستطردًا في واقعة طريفة "بات السكان المحليون يسمونه ب"جامع هاكوب"، أو جامع "الارمني". فقد صبّ والدي في هذا المشروع جامّ معرفته بالتصاميم التراثية العربية من الأموي الى العباسي، وتعهده بأجر منخفض جدًا رغبة منه في المساهمة بترك بصمة خير وجمال في بيت من بيوت الله صار معلمًا في المدينة".

جودي الأسمر